تفسير سورة المنافقين

هى إحدى عشرة آية . وهى مدنية ، قال القرطبى : فى قول الجميع [١] . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة المنافقين بالمدينة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج سعيد بن منصور ، والطبرانى فى الأوسط ، قال السيوطى : بسند حسن ، عن أبى هريرة قال : كان رسول اللّه ﷺ يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة فيحرّض بها المؤمنين . وفى الثانية سورة المنافقين فيقرّع بها المنافقين [٢] . وأخرج البزار والطبرانى عن أبى عيينة الخولانى مرفوعا نحوه [٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾

قوله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ أى إذا وصلوا إليك وحضروا مجلسك ، وجواب الشرط : ﴿ **قالوا** ﴾ وقيل : محذوف ، و﴿ **قالوا** ﴾ حال ، والتقدير : جاؤوك قائلين : كيت وكيت فلا تقبل منهم ، وقيل : الجواب ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة** ﴾ وهو بعيد ﴿ **قالوا نشهد إنك لرسول اللّه** ﴾

---

(١) القرطبى ٩ / ٦٥٩٩ .

(٢) السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٢٢٢ وقال الهيثمى فى المجمع ٢ / ١٩٤ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن ، ومحمد بن عمار هو الوازعى وهو وشيخه عبد الصمد من أهل الرأى وثقهما ابن حبان ».

(٣) قال الهيثمى فى المجمع ٢ / ١٩٤ : « رواه البزار والطبرانى فى الكبير وفيه زيادة ، وفيه أبومهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف » .

أكدوا شهادتهم بإنّ واللام ؛ للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم ، والمراد بالمنافقين : عبد اللّه بن أبى وأصحابه ، ومعنى ﴿ **نشهد** ﴾ : نحلف ، فهو يجرى مجرى القسم ، ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم ، ومن هذا قول قيس بن ذَريح :

وأشهد عند الله أنى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا

ومثل نشهد نعلم ، فإنه يجرى مجرى القسم ، كما فى قول الشاعر :

ولقد علمت لتأتينّ منيتى إن المنايا لا تطيش سهامها

وجملة : ﴿ **والله يعلم إنك لرسوله** ﴾ معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ، وهو ما أظهروه من الشهادة ، وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ أى فى شهادتهم التى زعموا أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد ، لا إلى منطوق كلامهم ، وهو الشهادة بالرسالة ، فإنه حقّ ، والمعنى : والله يشهد إنهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم من التأكيد الدال على أن شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص اعتقاد، وطمأنينة قلب ، وموافقة باطن لظاهر . ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة** ﴾ أى جعلوا حلفهم الذى حلفوا لكم به إنهم لمنكم وإن محمدًا لرسول اللّه وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والأسر ، والجملة مستأنفة لبيان كذبهم وحلفهم عليه ، وقد تقدّم قول من قال : إنها جواب الشرط ، قرأ الجمهور : ﴿ **أيمانهم** ﴾ بفتح الهمزة ، وقرأ الحسن بكسرها ، وقد تقدّم تفسير هذا فى سورة المجادلة ، ﴿**فصدوا عن سبيل الله** ﴾ أى منعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح فى النبوة ، هذا معنى الصدّ الذى بمعنى الصرف ، ويجوز أن يكون من الصدود، أى أعرضوا عن الدخول فى سبيل اللّه وإقامة أحكامه ﴿ **إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ من النفاق والصدّ ، وفى ساء معنى التعجب .والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما تقدّم ذكره من الكذب والصد وقبح الأعمال ، وهو مبتدأ وخبره : ﴿ **بأنهم آمنوا** ﴾ أى بسبب أنهم آمنوا فى الظاهر نفاقا ﴿ **ثم كفروا**﴾ فى الباطن ، أو أظهروا الإيمان للمؤمنين وأظهروا الكفر للكافرين ، وهذا صريح فى كفر المنافقين . وقيل : نزلت الآية فى قوم آمنوا ثم ارتدوا ، والأول أولى كما يفيده السياق . ﴿**فطبع على قلوبهم** ﴾ أى ختم عليها بسبب كفرهم ، قرأ الجمهور: ﴿**فطبع** ﴾ على البناء للمفعول ، والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور بعده ، وقرأ زيد ابن علىّ على البناء للفاعل ، والفاعل ضمير يعود إلى الله سبحانه ، ويدل على هذا قراءة الأعمش : « فطبع الله على قلوبهم » . ﴿ **فهم لا يفقهون** ﴾ ما فيه من صلاحهم ورشادهم وهو الإيمان . ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم** ﴾ أى هيئاتهم ومناظرهم ، يعنى : أن لهم أجساما تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق ﴿ **وإن يقولوا تسمع لقولهم** ﴾ فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم ، وقد كان عبد الله بن أبىّ رأس المنافقين فصيحًا جسيمًا جميلاً ، وكان يحضر مجلس النبيص ، فإذا قال سمع النبىّ ﷺ مقالته ، قال الكلبى : المراد : عبد الله بن أبىّ ، وجدّ بن قيس ، ومعتب بن قيس كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة ،

والخطاب للنبى ﷺ . وقيل : لكل من يصلح له ، ويدلّ عليه قراءة من قرأ : « يسمع » على البناء للمفعول ، وجملة : ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ مستأنفة لتقرير ما تقدّم من أن أجسامهم تعجب الرائى وتروق الناظر ، ويجوز أن تكون فى محل رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف ، شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول اللّه ﷺ مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط التى لا تفهم ولا تعلم ، وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذى ينتفع به صاحبه ، قال الزجاج : وصفهم بتمام الصور، ثم أعلم أنهم فى ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب . قرأ الجمهور :﴿ **خشب** ﴾ بضمتين ، وقرأ أبو عمرو والكسائى وقنبل بإسكان الشين ، وبها قرأ البراء بن عازب ، واختارها أبو عبيد ؛ لأن واحدتها خشبة ،كبدنة وبدن ، واختار القراءة الأولى أبوحاتم ، وقرأ سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب بفتحتين ، ومعنى ﴿ **مسندة** ﴾ : أنها أسندت إلى غيرها ، من قولهم : أسندت كذا إلى كذا ، والتشديد للتكثير . ثم عابهم الله سبحانه بالجبن فقال : ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾ أى يحسبون كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم ، وفى المفعول الثانى للحسبان وجهان : أحدهما : أنه عليهم ، ويكون قوله : ﴿ **هم العدو** ﴾ :جملة مستأنفة لبيان أنهم الكاملون فى العداوة لكونهم يظهرون غير مايبطنون ، والوجه الثانى : أن المفعول الثانى للحسبان هو قوله : ﴿ هم العدو﴾ ويكون قوله : ﴿ **عليهم** ﴾ متعلقا بـ ﴿ **صيحة** ﴾ ، وإنما جاء بضمير الجماعة باعتبار الخبر، وكان حقه أن يقال : هو العدو ، والوجه الأول أولى ، قال مقاتل والسدىّ : أى إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوا أنهم المرادون لما فى قلوبهم من الرعب، ومن هذا قول الشاعر :

مازلت تحسب كلّ شىء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا

وقيل : كان المنافقون على وجل من أن ينزل فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ثم أمر الله سبحانه رسوله بأن يأخذ حذره منهم فقال : ﴿ **فاحذرهم** ﴾ أن يتمكنوا من فرصة منك أو يطلعوا على شىء من أسرارك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. ثم دعا عليهم بقوله : ﴿ **قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ أى لعنهم الله ، وقد تقول العرب هذه الكلمة على طريقة التعجب ،كقولهم : قاتله الله من شاعر ، أو ما أشعره ، وليس بمراد هنا . بل المراد : ذمهم وتوبيخهم ، وهو طلب من الله سبحانه طلبه من ذاته عزّ وجلّ أن يلعنهم ويخزيهم ، أو هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك ، ومعنى ﴿**أنى يؤفكون** ﴾ :كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه إلى الكفر، قال قتادة : معناه : يعدلون عن الحق ، وقال الحسن معناه: يصرفون من الرشد.

﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله** ﴾ أى إذا قال لهم القائل من المؤمنين : قد نزل فيكم ما نزل من القرآن فتوبوا إلى الله ورسوله وتعالوا يستغفر لكم رسول اللّه﴿ **لوّوا رؤوسهم** ﴾ أى حركوها استهزاء بذلك، قال مقاتل:عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار، قرأ الجمهور:﴿ **لوّوا** ﴾ بالتشديد ، وقرأ نافع بالتخفيف ، واختار القراءة الأولى أبو عبيد ﴿**ورأيتهم**

يصدّون ﴾ أى يعرضون عن قول من قال لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول اللّه ، أو يعرضون عن رسول اللّه ﷺ ، وجملة : ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل الحال الأولى ، وهم يصدّون ، لأن الرؤية بصرية فـ ﴿ **يصدون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، و المعنى : ورأيتهم صادّين مستكبرين ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم** ﴾ أى الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر، قرأ الجمهور : ﴿**أستغفرت** ﴾ بهمزة مفتوحة من غير مدّ ، وحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة « أم » عليها ، وقرأ يزيد بن القعقاع بهمزة ثم ألف ﴿ **لن يغفر الله لهم** ﴾ أى ما داموا على النفاق ﴿**إن الله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ أى الكاملين فى الخروج عن الطاعة والانهماك فى معاصى اللّه، ويدخل فيهم المنافقون دخولا أوّليا .

ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال :﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللّه حتى ينفضوا** ﴾ أى حتى يتفرّقوا عنه : يعنون بذلك فقراء المهاجرين ، والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل لفسقهم ، أو لعدم مغفرة الله لهم . قرأ الجمهور:﴿ **ينفضوا**﴾ من الانفضاض ، وهوالتفرق ، وقرأ الفضل بن عيسى الرقاشى : « ينفضوا » من أنفض القوم : إذا فنيت أزوادهم ، يقال : نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفضّ . ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال: ﴿ **وللّه خزائن السموات والأرض** ﴾ أى إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن الرزق له فيعطى من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء ﴿ **ولكنّ المنافقين لا يفقهون** ﴾ ذلك ولا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد اللّه عزّ وجلّ وأنه الباسط القابض المعطى المانع .

ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل** ﴾ القائل لهذه المقالة : هو عبد الله بن أبىّ رأس المنافقين ، وعنى بالأعز : نفسه ومن معه ، وبالأذلّ : رسول اللّه ﷺ ومن معه ، ومراده بالرجوع :رجوعهم من تلك الغزوة، وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم ، وهو عبد اللّه بن أبىّ ؛ لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم ، وهم راضون بما يقوله ، سامعون له مطيعون . ثم ردّ الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال : ﴿ **وللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ أى القوّة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحى عباده لا لغيرهم . اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزّة للعادلين من عبادك ، وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين ﴿**ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ بما فيه النفع فيفعلونه ، وبما فيه الضرّ فيجتنبونه ، بل هم كالأنعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن زيد بن أرقم قال :خرجنا مع رسول اللّه ﷺ فى سفر فأصاب الناس شدّة، فقال عبد اللّه بن أبىّ لأصحابه : ﴿ **لا تنفقوا على من عند رسول اللّه حتى ينفضوا** ﴾ من حوله ، وقال :﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ**﴾ فأتيت النبىّ ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد اللّه بن أبىّ فسأله ، فاجتهد يمينه ما فعل ، فقالوا :

كذب زيد رسول الله ، فوقع فى نفسى مما قالوا شدّة حتى أنزل الله تصديقى فى ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ فدعاهم النبىّ ﷺ ليستغفر لهم فلوّوا رؤوسهم ، وهو قوله : ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ قال : كانوا رجالا أجمل شىء [١] . وأخرجه عنه بأطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه، وابن المنذر والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى[٢] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما سماهم الله منافقين ؛ لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الإيمان .

وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة** ﴾ قال : حلفهم بالله إنهم لمنكم اجتنوا بأيمانهم من القتل والحرب . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **كأنهم خشب مسنده** ﴾ قال: نخل قيام . وأخرج ابن مردويه والضياء فى المختارة عنه أيضا ، قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا** ﴾ فى عسيف لعمر بن الخطاب . وأخرج ابن مردويه عن زيد بن أرقم وابن مسعود أنهما قرآ :« لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله » .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبىّ ﷺ فى غزاة. قال سفيان : يرون أنها غزوة بنى المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجرىّ : يا للمهاجرين ، وقال الأنصارىّ: ياللأنصار، فسمع ذلك النبىّ ﷺ فقال : « ما بال دعوة الجاهلية ؟ » قالوا : رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار ، فقال النبىّ ﷺ : « دعوها فإنها منتنة » فسمع ذلك عبد الله بن أبىّ ، فقال : أو قد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منه الأذلّ ، فبلغ ذلك النبىّ ﷺ ، فقام عمر فقال : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبىّ ﷺ : « دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه » زاد الترمذى : فقال له ابنه عبد الله : والله لا تنفلت حتى تقرّ أنك الذليل ، ورسول الله العزيز ، ففعل [٣] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ** ﴾

(١) البخارى فى التفسير (٤٩٠٠ ــ ٤٩٠٤) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٧٢ / ١) والنسائى فى التفسير (٦١٨) .

(٢) ابن سعد فى الطبقات ٢ / ٦٥ والترمذى فى التفسير (٣٣١٢) وقال : « حسن صحيح » والطبرانى (٥٠٥٠) ، وصححه الحاكم ٢ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ وقال : « قد اتفق الشيخان على إخراج أحرف يسيرة من هذا الحديث من حديث أبى إسحاق السبيعى عن زيد بن أرقم » ووافقه الذهبى وقال : «وأخرجاه منه » ، والبيهقى ٨ / ١٩٨ .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٩٠٥ ، ٤٩٠٧) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٨٤ / ٦٣) والترمذى فى التفسير (٣٣١٥) وقال : « حسن صحيح » والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٠٨١٣) وفى التفسير (٦١٩) .

رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾

لما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغبا لهم فى ذكره فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾ فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ، ومعنى ﴿ **لا تلهكم** ﴾ :لا تشغلكم ، والمراد بالذكر : فرائض الإسلام ، قاله الحسن ، وقال الضحاك : الصلوات الخمس . وقيل : قراءة القرآن . وقيل : هو خطاب للمنافقين ، ووصفهم بالإيمان ؛ لكونهم آمنوا ظاهرا ، والأول أولى .﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ أى يلتهى بالدنيا عن الدين ﴿ **فأولئك هم الخاسرون** ﴾ أى الكاملون فى الخسران. ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم** ﴾ الظاهر أن المراد الإنفاق فى الخير على عمومه ، و« من » للتبعيض ، أى أنفقوا بعض ما رزقناكم فى سبيل الخير . وقيل : المراد: الزكاة المفروضة ﴿ **من قبل أن يأتى أحدكم الموت** ﴾ بأن تنزل به أسبابه ويشاهد حضور علاماته ، وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام ﴿ **فيقول ربّ لولا أخرتنى إلى أجل قريب** ﴾ أى يقول عند نزول ما نزل به منـاديا لربه : هلا أمهلتنى وأخرت موتى إلى أجل قريب ، أى أمد قصير ﴿ **فأصّدق** ﴾ أى فأتصدّق بمالى ﴿ **وأكن من الصالحين** ﴾ قرأ الجمهور:﴿**فأصّدق** ﴾ بإدغام التاء فى الصاد ، وانتصابه على أنه جواب التمنى . وقيل : إن « لا » فى ﴿ **لولا** ﴾ زائدة ، والأصل : لو أخرتنى. وقرأ أبىّ وابن مسعود وسعيد بن جبير: « فأتصدّق » بدون إدغام على الأصل ، وقرأ الجمهور : ﴿**وأكن** ﴾ بالجزم على محل ﴿ **فأصدّق** ﴾، كأنه قيل : إن أخرتنى أتصدّق وأكن . قال الزجاج : معناه : هلا أخرتنى؟، وجزم ﴿ **أكن** ﴾ على موضع ﴿ **فأصدق** ﴾؛ لأنه على معنى : إن أخرتنى ﴿**فأصدّق**﴾ وأكن ، وكذا قال أبو علىّ الفارسى وابن عطية وغيرهم ، وقال سيبويه حاكيا عن الخليل: إنه جزم على توهم الشرط الذى يدّل عليه التمنى ، وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذى هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه . وقرأ أبو عمرو وابن محيصن ومجاهد : « وأكون » بالنصب عطفا على ﴿ **فأصدّق** ﴾ ، ووجهها واضح، ولكن قال أبو عبيد : رأيت فى مصحف عثمان : ﴿**وأكن** ﴾ بغير واو ، وقرأ عبيد بن عمير: «وأكون» بالرفع على الاستئناف ، أى وأنا أكون . قال الضحاك : لاينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤدّ زكاة إلا سأل الرجعة ، وقرأ هذه الآية . ثم أجاب الله سبحانه عن هذا المتمنى فقال : ﴿ **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها** ﴾ أى إذا جاء أجلها وانقضى عمرها ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ لا يخفى عليه شىء فهو مجازيكم بأعمالكم . قرأ الجمهور : ﴿ **تعملون** ﴾ بالفوقية على الخطاب ، وقرأ أبو بكر عن عاصم والسلمى بالتحتية على الخبر .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبىّ ﷺ فى قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تلهكم**﴾ الآية قال : « هم عباد من أمتى الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وعن الصلوات الخمس المفروضة » . وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من كان له مال يبلغه حج بيت الله ، أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت » ، فقال رجل : يابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكافر ، فقال : سأتلو عليكم بذلك قرآنا : ﴿**يأيها الذين آمنوا** ﴾ إلى آخر السورة [1] . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ **فأصدّق وأكن من الصالحين**﴾ قال: أحج .

(١) الترمذى فى التفسير (٣٣١٦) وابن جرير ٢٨ / ٧٧ ولكنه من قول ابن عباس وليس من قول الرسول ﷺ ، والطبرانى فى (١٢٦٣٥ ، ١٢٦٣٦) وقال ابن كثير ٧ / ٢٤: «رواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ».